

ISLAMSKA MISAO

Osnivač i izdavač: Fakultet za islamske studije, Novi Pazar

Za izdavača: Prof. dr. Enver Gicić

Glavni urednik: Prof. dr. Enver Gicić

Pomoćnik urednika: Prof. dr. Hajrudin Balić

Redakcija: prof. dr. Mustafa Fetić, prof. dr. Almir

Pramenković, hfz.doc. dr. Haris Hadžić, doc. dr. Siham Mevid

Šerijatski recenzent: prof. dr. Almir Pramenković

Tehnički urednik: Senad Redžepović

Lektor: Samir Škrijelj

Štampa: Grafičar, Užice

Tiraž: 500 primjeraka

Adresa redakcije: Fakultet za islamske studije,
ul. Rifata Burdževića 1, 36300 Novi Pazar

Štampanje ovog broja pomogla je Vlada R. Srbije - Kancelarija
za saradnju sa crkvama i verskim zajednicama

CIP - Katalogizacija u publikaciji

Narodna biblioteka Srbije, Beograd

378:28

ISLAMSKA misao : godišnjak Fakulteta za islamske studije Novi Pazar /
glavni urednik Enver Gicić. - 2007, br. 1- . - Novi Pazar : Fakultet za islamske
studije, 2007- (Užice : Grafičar). - 24 cm

Godišnje.

ISSN 1452-9580 = Islamska misao (Novi Pazar)

COBISS.SR-ID 141771532

عالمية الإسلام بين التراث والحداثة

عالمية الإسلام ضرورة من ضرورات هذا الدين، ودليل يؤكد على أنه الدين القويم الصالح لكل زمان ومكان، وإدراك هذا يفرض على المسلمين الخروج من قواقعهم التي حبسوا أنفسهم بها وأن يعوا ويفهموا معنى عالمية الإسلام وأن يسعوا لتبصير الناس بها، وضمن مسعى إظهار وتبصير الناس بعالمية الإسلام لتتغير الصورة المشوهة التي رسمها المغرضون والجهلاء عن الإسلام وأظهروه كدين لا يصلح إلا لمجموعة من أهل البادية فقط، ودين يعادي الحضارة والتقدم ويجافي الرقي والازدهار.

لم تكن الرسالة الخاتمة لتكون لقوم دون قوم أو أمة دون أمة بل للناس جميعاً، ومادة هذه الرسالة هي القرآن الكريم، الوحي الذي أنزل على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو رسالة الله للناس أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى المسلمين أن يدركوا هذا ويتعاملوا مع الرسالة المحمدية على هذا الأساس ما يرتب عليهم مسؤوليات في تعاملهم مع الآخرين وطريقة تقديم الإسلام.

إن عالمية الإسلام أمر لا يختلف عليه المسلمون فقد ورد في الذكر الحكيم مرات عديدة وبإنشاء بلاغي جزل واضح والقرآن يخاطب الناس جميعاً فالآيات التي تخاطب بلفظ «يا أيها الناس» بلغت 20 آية وجميعها تؤكد عالمية الإسلام وأنه لجميع البشر، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }¹.

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }²، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ }³، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ }⁴.

1 سورة الحجرات، الآية ١٣.

2 سورة النساء، الآية ١.

3 سورة يونس، الآية ٥٧.

4 سورة يونس، الآية ١٠٨.

وتتكرر الآيات التي تؤكد عالمية دعوة الإسلام كما في الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾¹.

الدعوة للإسلام وإظهار الدين الإسلامي بوجهه الحقيقي يصطدم في أنحاء العالم بالصورة النمطية التي يحاول المغرضون أن يرموها عن الإسلام والمسلمين، وهذه الصورة غالباً ما تكون سلبية يقصد منها تنفير الناس وإبعادهم عن الإسلام، وما لا شك فيه أن جهل بعض المسلمين يساهم بهذا النفور ورسم هذه الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام.

الأمر الآخر الذي يشارك في رسم صورة سلبية عن الإسلام هو جزء من التراث الموروث الذي تتمسك به العديد من المؤسسات الدينية التقليدية بالرغم من عدم صلاحيته، وقد ظهرت حركات إصلاحية في المجتمعات الإسلامية في بقاع مختلفة في العالم خلال القرنين الماضيين لتصحيح بعض المفاهيم والموروثات التي تؤثر سلباً وعائقاً في انتشار هذا الدين الحنيف، إلا أنها وجهت برفض وإنكار من التيارات الإسلامية التراثية، وهي التيارات الأوسع والمتحكمة بالمؤسسات الإسلامية التقليدية التي تمتلك السلطة والتأثير على المجتمع والدولة، فكان تأثير هذه الحركات الإصلاحية محدوداً بالرغم من أهميتها في إخراج الفكر الإسلامي من المحلية الضيقة وإعادةه للعالمية الواسعة.

وبالرغم من أنه لا يختلف اثنان من العلماء أو الفقهاء المسلمين أن رسالة الله سبحانه وتعالى التي التي جاء بها رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة للبشر أجمعين وهي خاتمة الرسالات وهي صالحة لكل زمان ومكان، ولكن للأسف فإن الغالبية العظمى تتعامل معها على أنها رسالة محلية ضيقة المفاهيم محدودة مجتمع وبيئة محددة، وهذا كان سبباً عائقاً في العصور المتأخرة في انتشار رسالة الإسلام، حيث أن مفهوم الإسلام والمسلمين نفسه مفهوم ضيق عند الكثير من المسلمين، ويضيق هذا المفهوم أكثر في المجتمعات المغلقة التي تحاول الإرتداد إلى العصور الإسلامية الأولى.

وهنا لا بد من التعرّيج على مفهوم الإسلام حسب النص القرآني لفهم بعد آخر من عالمية الإسلام، فقد تبادر لذهن العديد من المفسرين أن كلمة الإسلام والمسلمين يقصد بها أتباع النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام فقط، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾²، ولكن لو تتبعنا مفهوم الكلمة كما وردت في القرآن الكريم سيتضح أن المعنى أعم من ذلك ويقصد بها أن كل

1 سورة الأعراف، الآية 158.

2 سورة آل عمران، الآية 19.

من آمن بالله واليوم الآخر فهو مسلم مهما كانت شريعته، حيث أن أنبياء الله ورسله جميعاً جاؤوا بدعوة الإسلام فهو الدين عند الله، فلنتتبع بعض الآيات التي وردت في القرآن وتذكر المسلمين، فقد قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ} ¹، {أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} ²، في هذه الآية الكريمة نرى أن الإسلام لا يقتصر على أهل الأرض فقط بل هي عامة في الكون، وقال تعالى في دعوة نوح لقومه: {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ³ يونس 72، وعن قوم لوط: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ⁴، وعن إبراهيم: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ⁵، وعن السحرة الذين أسلموا لموسى: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرِغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ} ⁶، وكذلك الحواريون الذين اتبعوا النبي عيسى عليه السلام: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ} ⁷، ومن هذه الآيات الكريمة وغيرها ندرك أن تسمية الإسلام لم يقصد بها أتباع النبي الكريم محمد فقط بل كل من اتبع الرسل وآمن بالله وحده واليوم الآخر، وهؤلاء من أسلموا طوعاً، أما الجمادات والمخلوقات التي لم تختار فقد أسلمت كرهاً وهي تعم الكون كله. أما أتباع رسالة النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام الذين اتبعوا شريعته فبالإضافة لكونهم مسلمين فقد ذكروا في مواضع عديدة في القرآن الكريم بلفظ المؤمنين.

إن الدارس المتدبر للقرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى يدرك أن عامل الزمن هو عامل مختلف التأثير بالنسبة للكتب السماوية، فكلما تقدم الزمن وتطورت الحضارة الإنسانية وازدادت مدارك الإنسان ومفاهيمه ومعارفه كلما ازداد فهماً واقتراباً من القرآن الكريم، فعندما تطورت القاعدة المعرفية الإنسانية كان فهم آيات القرآن الكريم يتطور بشكل أدق وأيسر وتصححت العديد من المعاني وترسخت أكثر في إدراك الناس وفهمهم، بينما هذا لا ينطبق على الكتب السماوية الأخرى. وهذا هو أحد وجوه تجسيد مفهوم أن القرآن يصلح لكل زمان، أما المفهوم بأن القرآن يصلح لكل مكان فهو أمر واضح بين فإن القارئ المتدبر لمعاني القرآن الكريم في أي بقعة في الأرض أو من أي شعب كان إذا تيسر له فهم آيات القرآن وتدبر معانيها سيجد ضالته، فهي متعلقة بالفطرة الإنسانية كما وردت في قول تعالى: {فَأَقِمْ

1 سورة الأنبياء، الآية ١٠٨.

2 سورة آل عمران، الآية ٨٣.

3 سورة يونس، الآية ٧٢.

4 سورة الذاريات، الآية ٣٦.

5 سورة آل عمران، الآية ٦٧.

6 سورة الأعراف، الآية ١٢٦.

7 سورة آل عمران، الآية ٥٢.

وَجَهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ¹، بالإضافة إلى ذلك فإن القرآن يجيب على الأسئلة الفلسفية الكبرى التي شغلت وتشغل الناس حتى الآن. وبالإضافة إلى أن القرآن يدعو إلى الله عز وجل، فإن أي عادل منصف يقرأ آيات القرآن بتدبر سيدرك أيضاً القيم العليا التي يدعو إليها كتاب الله تتوافق مع الفطرة الإنسانية وأنها لخير البشرية عموماً في أي بقعة من الأرض وليست لقوم مخصصين، وهذه المعاني هي تجسيد للقول بأن القرآن الكريم صالح لكل مكان.

للأسف تتناقض هذه الحقيقة البينة مع واقع تعامل المسلمين مع الرسالة الإلهية، فنجد عند العديد من المسلمين أن الزمن توقف في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي، وانحصر بالرقعة الجغرافية والأقوام التي استقبلت الرسالة الإلهية في القرون الأولى للرسالة وتعلق الدين بعاداتهم وأعرافهم وسلوكهم، ولا يخفى الأمر على أي فطن أن تقليد المسلمين الأوائل في أساليب حياتهم لن يحقق لمسلمي اليوم أي نجاح، ويغيب عن البعض أن أسلوب وأعراف الحياة التي سائدة في ذلك العصر لا علاقة لها بالدعوة الخالدة للقرآن الكريم وبالإسلام الحق.

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صحح العديد من المفاهيم والعادات ورسخ القيم الفاضلة في المجتمع ونبذ السوء منها، ولكن عادات الناس وأعرافهم وأساليب حياتهم وملبسهم وطعامهم وحلهم وترحالهم كان يشترك به المؤمنون والمشركون سوياً، فأبو جهل وأبو لهب وغيرهم من المشركين كانوا يتشابهون مع المسلمين في أعرافهم والقبائل التي أسلمت أو التي ظلت مشركة تشابهت في أعرافها يفرق بين الناس الثراء والطبقة الاجتماعية، أما النجاح والثورة التي أحدثتها الرسالة الإسلامية التي غيرت وجه العالم فتعود لقوة وأهمية الرسالة الإلهية التي جاء بها رسولنا الكريم للناس وهي رسالة رحمة ومحبة تبدأ دائماً بسم الله الرحمن الرحيم، وتدعو للهدى وتنير للناس الطريق وتحمل القيم التي تناسب الإنسانية حسب أعراف كل زمان ومكان، قال تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}².

هذه الدعوة ليست لرفض التراث الإسلامي أو إنكاره بل دعوة لفهم الدين الإسلامي الحنيف وإظهاره بشكله الصحيح، فخاتمة الرسائل السماوية ليست لقوم القرن السابع أو الثامن الميلادي فقط بل هي رسالة من الله للناس حية دائماً إلى يوم الدين، وعلى الناس أن تقرأها في كل زمان حسب القاعدة المعرفية والإدراك والوعي الإنساني لكل زمن، ويجب أن تكون للناس في كل بقاع الأرض مهما اختلفت تقاليدهم وعاداتهم وأشكالهم وألوانهم، وبهذا تتحقق مقولة أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان

1 سورة الروم، الآية ٣٠.

2 سورة الأعراف، الآية ١٩٨، ١٩٩.

ومكان.

لقد لاحظ بعض العلماء قديماً وحديثاً هذا الأمر ولاحظوا صلاحية النص القرآني لكل زمان وأنه ينسجم مع الأدوات والنظم المعرفية المتطورة دائماً. وهذا يدعونا للتوقف قليلاً عند هذا الأمر، فالزمن الحالي وبالرغم من الهجمات الشرسة على الإسلام ومحاولات تشويهه هو أفضل الأزمان التي مرت حتى الآن لوصول رسالة الله للناس عامة، وذلك لأسباب وحقائق عديدة أهمها طبيعة هذه الرسالة الخالدة، والسبب الآخر هو التقدم التقني الذي سهل التواصل بين الناس وسهل نقل الأخبار والمعارف بين أبناء الجنس البشري عموماً، وذلك عبر وسائل الإتصال الحديثة وعبر وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية، والتقدم العلمي والإكتشافات والإختراعات التي تتسارع وتيرتها.

ونلاحظ هنا الدور الريادي الفكري الذي تؤديه بعض المؤسسات الإسلامية المتنورة والتي تدرك هذه الخصائص في الرسالة الإسلامية فتتشارك مع الآخرين التطوير الفكري والمعرفي وقبول ما هو جديد وينفع الناس ويتناسب مع الرسالة الإلهية ومفاهيمها الخالدة، ونجد هذا واضحاً في بلاد عديدة وخصوصاً البلاد التي تسمح بحرية الفكر والتعبير وقد أدرك العديد من العلماء في هذه المؤسسات الإسلامية أن الإكتشافات والبراهين العلمية الحديثة لا تتعارض مع الرسالة الإلهية بل تؤكد دائماً وتساهم في فهمها وهذا جانب آخر يميز القرآن الكريم عن الكتب السماوية الأخرى. وهنا لا بد من ذكر دور المشيخة الإسلامية في صربيا وهي المؤسسة الدينية في اقليم السنجق التي تمثل المسلمين في صربيا ودول الشتات بأنها مؤسسة رائدة في انفتاحها وتقبلها للعلوم والأفكار والنظريات الحديثة وتهتم بنظريات المعرفة وأفكار الحداثة وتتابع الأبحاث الفكرية التي تتوافق مع الإسلام الصحيح. وهناك العديد من المؤسسات الإسلامية في دول العالم بدأت تلعب دوراً فكرياً مهماً في تطوير فهم الإسلام وبأساليبها الحديثة تؤكد على عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.